

تقرير خاص حول الغوطة الشرقية

إعداد: آلاء الرشيد

صحافية، حاصلة على درجة الماجستير في الإعلام،
وصانعة محتوى إعلامي

MAR 2018

IRAK

FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

المحتوى

3	مقدمة
3	الموقع الجغرافي
3	السياق التاريخي في الغوة
5	لماذا استهدف نظام الأسد الغوة الشرقية؟
6	تحول الثورة من المرحلة السلمية إلى العسكرية
6	إضراب الكرامة
7	تنظيم العمل العسكري
7	تحرير الغوة
7	الفصائل في الغوة الشرقية
11	الخلافاة بين الفصائل
12	المجالس المحلية
13	المجالس المحلية في اتفاقيات التهدئة
13	منطقة خفض التصعيد
14	قرار مجلس الأمن (2401) بشأن الهدنة
15	حصار الغوة ومنهجية التجويع
16	سياسة التهجير
17	التصعيد الأخير
17	عدد الضحايا في الغوة الشرقية
18	هل الغوة مثل حلب؟

مقدمة

ذكرت معاجم اللغة العربية معنى الغوطة بأنها: "الْمُنْخَفِضُ الواسِعُ من الأَرْضِ" و "مجتمع الماء والشجر"، ونعت الشاعر أبي بكر الخوارزمي الغوطة بعبارة لا تبتعد عن فحوى معناها اللغوي فقال مُتَغَزِّلاً في جمالها: "جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وصغد سمرقند، وشعب بوان، وجزيرة الأبله، وقد رأيتها كلها، فأحسنها غوطة دمشق".²¹

الموقع الجغرافي

قُسمت دمشق إدارياً إلى محافظتين نظراً للتعداد السكاني الكبير، محافظة دمشق وهي العاصمة السورية، ومحافظة ريف دمشق وهي مجموعة الأرياف المحيطة بالعاصمة دمشق ويُصطلح تسميتها بغوطة دمشق. وتقدر مساحة الغوطة الشرقية بنحو (110) كيلومترات مربعة، أما عدد السكان فيقدر بـ (2.2) مليون نسمة مع بداية الثورة السورية التي انطلقت في آذار/ مارس 2011، أما حالياً فيقطن الغوطة الشرقية نحو 400 ألف نسمة، منهم (288,102) نازح تركوا بيوتهم بسبب سيطرة قوات نظام الأسد على بلداتهم أو قريها من خطوط الاشتباك. تتكون الغوطة الشرقية من نواحي دوما وكفربطنا وحرستا والنشابية وعربين والمليحة، وتقسم لأربع قطاعات. قطاع دوما ويحوي ناحية دوما، والقطاع الأوسط ويحوي نواحي عربين وكفربطنا وحرستا، كذلك قطاع المرح ويحوي النشابية، أما القطاع الجنوبي فيحوي ناحية المليحة. كما تشكل محافظة ريف دمشق والمكونة من 36 ناحية طوقاً أخضراً يحيط بالعاصمة دمشق، ويتميز ريف دمشق بتنوع تضاريسه من الجبال والسهول والوديان. لذا يعتمد غالبية سكان ريف دمشق على الزراعة وتربية الحيوانات، بالإضافة لوجود عدد من المصانع والمشاغل ضمن ريف دمشق.⁴³

السياق التاريخي في الغوطة

يعود ذكر منطقة الغوطة إلى زمن الأنبياء حسبما ورد معنى آية (50) من سورة المؤمنون في تفسير ابن كثير، فقد أقام عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم بنت عمران في الغوطة، وهذا ما تم تبينه في قول ابن أبي حاتم: "حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: (ذات قرار ومعين) قال: أنهار دمشق. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد: (وأويناهما إلى ربوة [ذات قرار ومعين])، قال: عيسى ابن مريم وأمه، حين أويأ إلى غوطة دمشق وما حولها.⁵ وفي عصر الخلفاء الراشدين، زار عمر بن الخطاب غوطة دمشق، واستذكر قوله تعالى في سورة الدخان بعد أن رأى جمال المدينة وما فيها من البساتين والقصور: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ}.⁶

¹ تعريف و معنى غوطة

² غوطة الشام.. أنزه جنان الأرض الأربع

³ الحصار والموت في الغوطة الشرقية كانون الأول 2017

⁴ الغوطة الشرقية.. منطقة سورية تتعرض للإبادة

⁵ تفسير قوله تعالى " وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين "

⁶ فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب

وعُرفت الغوطة وقُراها بغزارة وجود العلماء والفقهاء، بل كان علماء دمشق يدرسون فيها ويتلقون علومهم من مجالس العلم في الغوطة، كما ورد الحديث عن سيرة الغوطة ومدنها في المؤلفات، مثال ذلك ما كتبه الحافظ ابن عساكر في روايات أهل داريا وكفرسوسة وصنعاء دمشق والربوة والنيرب وأهل الحميرين وقبيبة وفذايا وبيت أرنس وبيت قوفا والبلاط وبيت سوا ودوما ومسرابا وحرستا وكفربطنا ودقانية وحجيرة وعين ثرماء وجديا وطرميس وبيت لها وبرزة.⁷

وأينما وُجد الإنسان في أي مدينة لا بد أن يترك إسقاطات معمارية يبقى شاهداً على إرثه الفكري والحضاري، فقد تعاقب على مدن الغوطة منذ القدم عصورٌ عدّة، ضمت آثاراً تاريخية ومجموعة من التلال والمواقع الأثرية مثل تل الصالحية الذي يحوي آثاراً من العصر الحجري القديم، وفي الشرق يقع تل أسود الذي يحوي آثاراً تعود إلى العصر الحجري الوسيط والقديم، أما تل المرج يقع في منطقة حوش الريحانة وفي القرب منه يقع تل أبو سودة، بالإضافة إلى آثار كثيرة في جسرين وعين ترما وحران العواميد وبلدة حمورة التي تعرف الآن بجمورية.⁸

كما لا تخلو الغوطة من الإرث الديني، فالمزارات والمقامات وقبور الصحابة شاهدة على بقاء الإرث مثل وجود مقام إبراهيم الخليل في منطقة برزة، ومقام الخضر في جرمانا، ومقام السيدة زينب في قرية السيدة زينب في الغوطة جنوب دمشق، وفي المليحة قبر الصحابي مدرك بن زياد الفزاري، وقبر عبد الله بن سلام في منطقة سقبا، وقبر ومقام سعد بن عباد الأنصاري، وفي المعصمية مقام أبي مسلم الخولاني، ومقام أبي سليمان الداراني، وجامع المقداد بن الأسود في ببيلا، ومزار عبد الله بن عوف.⁹

● الصليبيون في الغوطة

لم تكن الغوطة بمعزل عما يحدث في دمشق وسوريا عموماً، فعندما وقعت دمشق في الحصار أيام الغزو الصليبي عام 1148 م، استنجد حاكمها معين الدين أنر يطلب المدد من الزنكيين في حلب والموصل. لكن أبناء غوطة دمشق المحيطة بالمدينة أسرعوا في تلبية النداء لإنقاذها، إذ وجّه سكانها ضرباتهم ضد قوات الصليبيين مُجبرين قاداتهم على تغيير مسار الحصار إلى مقاومة مقاتلي الغوطة وحصارهم، وقد ضيق الصليبيون الخناق على الغوطة مدّة 4 أيام حسب ما روى ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" عن حكاية حصار دمشق.¹⁰

● الاحتلال الفرنسي في الغوطة

بعد أن أعلن الانتداب الفرنسي على سوريا عام 1924م، بدأ العديد من السوريين الوطنيين بتنظيم ثورات للمطالبة بالحرية والاستقلال معلنين رفضهم لأي شكل من أشكال الاحتلال، ما أدى إلى قيام الثورة السورية الكبرى بين عامي (1925-1927) في عدّة مناطق بسوريا، ولم تكون الغوطة بمنأى عن الثورة آنذاك، فقد خاضت عدة معارك مع القوات الفرنسية التي حاولت السيطرة على الغوطة، لكن الثوار استطاعوا التصدي حيث بلغ عددهم حينها أكثر من ألف نائر منقسمين إلى مجموعات بإدارة قيادة منظمة واحدة.

⁷ الغوطة وبساتين سقيت بالدم

⁸ الغوطة السورية

⁹ غوطة دمشق

¹⁰ غوطة دمشق الشقية: سيرة الثورة والحصار والحرب

لم تقف سلطات الانتداب الفرنسي عند هذا الحد، بل أرسلت حملة عسكرية لملاحقة الثوار في 12 كانون الأول/ ديسمبر 1925 وهاجمت المنطقة بالقصف المدفعي والطائرات.

ثم طوّقت القوات الفرنسية منطقة الغوة بالتحصينات والألغام بعد أن عجزت عن القضاء على ثوار الغوة، ثم أرسلوا الفرنسيين حملة عسكرية أخرى سرعان ما باءت بالفشل، فقد استطاع ثوار الغوة إعلان هزيمة الفرنسيين بمعركة سميت "الزور الأولى"، وقام الثوار بتلقيح القوات الفرنسية درساً قاسياً بتجريد أسلحتهم وخيولهم ثم تركهم يعودون فرادى سيراً على الأقدام دون سفك دماء.¹¹

لماذا استهدف نظام الأسد الغوة الشرقية؟

هناك عدّة أسباب تعود لقيادة نظام الأسد بحملة مُستمرة للسيطرة على الغوة الشرقية منذ بدايات الثورة السورية، إذ تتمتع الغوة الشرقيّة بموقع استراتيجي هام، فهي المدخل الجنوبي الشرقي للعاصمة دمشق، وتُحتضن طريق مطار دمشق الدولي ذي الأهمية العسكرية الكبيرة بالنسبة للنظام والإيرانيين، كما لا تبتعد الغوة الشرقية عن مواقع عسكرية مهمة مثل مطار مرج السلطان وإدارة المركبات.

هذا بالنسبة لموقعها داخل سوريا، أما بالنسبة لحدودها الخارجية فهي ذات اتصال مباشر بطرق تؤدي إلى محافظتي درعا والسويداء باتجاه الحدود الأردنية من جهة الجنوب، وفي اتجاه الحدود العراقية من جهة الشرق.

وفي اتجاه آخر، لم يكن وجود فصائل المعارضة المسلحة في أحياء دمشق مريحاً بالنسبة للنظام، لذلك سعى لإخراج الفصائل على إثر استراتيجيته في تأمين حزام العاصمة دمشق التي أطلقها عام 2013، وهي الاستراتيجية التي تتقاطع مع أهداف إيران وروسيا في سوريا للسيطرة على مناطق "سوريا المفيدة"، لذا خرجت فصائل المعارضة المسلحة من أحياء برزة والقابون ومن مناطق في ريف دمشق مثل الزبداني ووادي بردى وغيرها، لكنها بقيت في حي جوبر ومدن الغوة. لذلك بقيت مخاوف نظام الأسد من تسلل الفصائل إلى العاصمة دمشق عبر أنفاق تحت الأرض كانت تربط حريستا بحي برزة والقابون قبل سيطرة النظام عليهما.

وللسيطرة على الغوة الشرقية غايات أخرى اقتصادية، فهي تعتبر "سلة غذاء دمشق"، وذلك لاحتضانها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وهو واحد من عوامل صمود سكانها المحاصرين فيها والفصائل.^{12 13 14}

مسار أحداث الغوة منذ بدء الثورة السورية

لم تكن الغوة الشرقية خارج سياق الأحداث في سورية أبان الثورة السورية في منتصف آذار/ مارس لعام 2011، وتنقلت مجريات الأحداث مع تطوّر الثورة في عموم سوريا في مجالاتها السياسية والميدانية والعسكرية والإنسانية.

فقد التحقت الغوة بركب الثورة في مرحلة الحراك السلمي وذلك في الأول من نيسان/ إبريل لعام 2011م، حيث خرج الآلاف من المتظاهرين لأول مرّة من مدينة دوما (أكبر مدن الغوة) نصرّة للمظاهرات في مدينة درعا، ثم رفع المتظاهرون

¹¹ غوة دمشق... هزمت فرنسا وتتحدى الأسد وروسيا

¹² كارثة الغوة.. امتحان آخر للضمير الإنساني!

¹³ الغوة الشرقية "حجيم على الأرض"

¹⁴ لهذه الأسباب تذيح الغوة الشرقية

شعارات للمُطالبية في الإصلاح، ومحاربة المفسدين في سوريا، وعلى إثر ذلك قامت قوات الأمن السورية باستخدام الرصاص الحي مما أدى إلى سقوط (13) متظاهر في ذلك اليوم.¹⁵

ثم تطورت الأحداث في شهر رمضان 1432 (27 آب/أغسطس 2011) بعد اعتداء قوات الأمن السوري على إمام جامع كفرسوسة الشيخ أسامة الرفاعي في دمشق، وخرجت مظاهرة كبيرة لنصرتة فُدرت بعشرات الآلاف من بعض مدن الغوطة الشرقية (دوما - سقبا- حمورية- كفر بطنا- حرستا- زمكا) إلى أن وصلت أبواب دمشق في منطقة (الزبلطاني وسوق الهال)، ولم تنته المظاهرة إلا بسقوط عشرات القتلى والجرحى، واندلاع حملة الاعتقالات طالت المتظاهرين بعد محاولات قوات الأمن تفريقهم بقوة السلاح.¹⁶

استمرت المظاهرات السلمية في مدن الغوطة وبلداتها بشكل شبه يومي، ولم تسمح قوات الأمن السوري بوصولها إلى قلب دمشق رغم محاولات المتظاهرين المتكررة، بل أستخدمت القوة المفرطة لمواجهة ما أدى إلى حدوث العديد من الإصابات واعتقال العشرات من المتظاهرين، ولم يتم حينها توثيق أرقام دقيقة لضحايا المظاهرات، لكن يُقدر عددها بما يزيد عن ألف قتيل ويفوق هذا العدد للجرحى، وأكثر من ثلاثة آلاف معتقل، ناهيك عن تسجيل عشرات الحالات من الاقتحامات والمداهمات العسكرية لبيوت الغوطة وحالات حظر التجوال، إضافة إلى قطع الماء والكهرباء. نالت مدينة دوما النصيب الأكبر في عدد المشاركين في التظاهرات في الغوطة، فكانت مركز الحراك الثوري ومتنفس الناشطين من الأحياء الدمشقية التي حولها كونها مركز الغوطة الشرقية.¹⁷

تحول الثورة من المرحلة السلمية إلى العسكرية

تحول الحراك السلمي في الغوطة الشرقية تدريجياً إلى التسليح والعسكرة، وكان يهدف في بداياته إلى حماية المتظاهرين من عنف قوات الأمن السورية باستخدام أدوات السلاح الخفيفة، لكن ذلك لم يكن ذا جدوى مقابل الآلة العسكرية لنظام الأسد، ولم يلبث إلا أن بدأ التظاهر يأخذ شكلاً منظماً على إثر إعلان العقيد رياض الأسعد إنشاء الجيش السوري الحر في نهاية يوليو / تموز 2011م وهو الجيش المُتشكّل من مجموعات وكتائب في جميع أنحاء سورية.^{18 19}

إضراب الكرامة

تطورت الأحداث في الغوطة الشرقية بعد مشاركة أهالي المدينة في إضراب الكرامة الذي عمّ أيضاً عدة مدن سورية في شهر كانون الأول/ ديسمبر 2011م، فأغلقت المحال والأسواق والمدارس، وفي نهاية الشهر نفسه تطورت التظاهرات، التي لم تتوقف قبل ذلك، مع وصول لجنة المراقبين العربية إلى ساحة المسجد الكبير في دوما، فأطلقت قوات الأمن النار لتفريق 60 ألف متظاهر وجرت معها حملات اعتقال، ولم تسلم المدينة من عمليات تكسير الممتلكات العامة وتخريبها.^{20 21 22}

¹⁵ غوطة دمشق الشرقية وتحولات المشرد من التحيد الى الحصار

¹⁶ مظاهرات بدمشق بعد اقتحام مساحد

¹⁷ الغوطة الشرقية، سرديّة الحصار المستمر

¹⁸ النظام السوري يواصل تصعيد حملته العسكرية والمراقبون العرب يعودون الى دمشق

¹⁹ رياض الأسعد: أحد شجعان الثورة السورية

²⁰ «إضراب الكرامة» يصل الى قلب دمشق... والأمن يفتح أبواب المحلات بالقوة

²¹ فرنسا تجدد من المنكر الحكم على ميمة البعثة

²² مجريات أحداث دمشق وريفها

تنظيم العمل العسكري

استمر تطور مستوى تسليح الثوار في الأشهر الأولى من عام 2012م، وانضوى الثوار ضمن تشكيلاتٍ تنظيمية عسكرية استطاعت احتواء تزايد أعداد الثوار خاصة في مدن حمورية وسقبا ودوما وعربين، ثم قامت تلك التشكيلات باستهداف نقاط أمنية ضعيفة للقوات السورية، وكذلك ثكنات عسكرية صغيرة في منطقة الغوة، بهدف إرهاق القوات الأمنية وإضعافها، والحصول على السلاح والذخيرة. علماً أنه يندر وجود لدى ثكنات النظام سلاح ثقيل أو نوعي باستثناء توفر بعض المدرعات، وتنحصر معظم الأسلحة بين النوعين الخفيف والمتوسط.²³

ركزت معارك فصائل الغوة على تحرير الكتائب وكنات النظام مستفيدة من عناصر مؤيدة للثورة داخل الثكنات والكتائب، فكانت أولى الكتائب المحررة في الغوة الشرقية هي كتيبة الدفاع الجوي في منطقة الأشعري، ثم حُررت كتائب دفاع جوي في منطقة أوتايا والعتيبة شرقي الغوة الشرقية. تبعها تحرير مطار مرج السلطان العسكري "حوامات" وفوج النقل في قرية الشيفونية، ومن ثم كتيبة الإشارة في قرية الريحان وكتيبة الشيلكا في الدير سلمان وكتائب أخرى تابعة لنظام الأسد ومؤيدة للثورة.²⁴

تحرير الغوة

لم تتوقف كتائب الثوار في إجراء المناورات مع قوات نظام الأسد في سبيل تحرير مدن الغوة وإخلائها من ثكنات النظام العسكرية، إلى أن تحررت المناطق الممتدة من دوما إلى المليحة ومن جوبر وزملكا إلى العتيبة من سيطرة النظام في أواخر عام 2012م ومطلع 2013م. بينما دفع المدنيون في مدينة دوما ضريبة التحرير بعد أن ارتكبت قوات النظام مجزرة (حاجز ساحة الشهداء) راح ضحيتها (30) شخص بينهم (9) نساء و(4) أطفال قتلوا رمياً بالرصاص وذبحاً داخل منازلهم.^{25 26}

الفصائل في الغوة الشرقية

بعدما تحوّل الحراك السلمي إلى عسكري في الغوة الشرقية، تكونت أول كتيبة وهي (كتيبة أبو عبيدة بن الجراح) تحت إطار الجيش السوري الحر، ولم تستمر هذه الكتيبة في العمل إلا أسابيع عدّة ثم تفرقت وانضمت إلى تشكيلات عسكرية أخرى. توسّعت التشكيلات العسكرية واتجهت نحو التنظيم، ففي منتصف عام 2012م تأسس (لواء شهداء دوما) وحدثت أول معركة مع الجيش السوري الذي استخدم المدفعية والهاون بشكل مكثّف ما أدى إلى نزوح معظم سكان دوما على إثر ارتفاع حدّة القصف والمواجهة.

ومن التشكيلات العسكرية الأخرى من الكتائب والألوية؛ (لواء الإسلام في دوما) و(لواء أمهات المؤمنين) في منطقة المليحة وزبدین ودير العصافير، و(كتيبة عبدالله بن سلام) في سقبا و(هارون الرشيد) في عين ترما وجوبر، و(كتيبة الإمام الحسين) في المرج. وفي داريا التابعة للغوة الغربية (كتيبة شهداء داريا) و(كتيبة الفيحاء). أما في عربين (كتيبة شهداء عربين). وفي كفر بطنا (كتيبة الحافظ الذهبي)، وفي زملكا (كتيبة سيف الإسلام).

²³ دوما: فاتحة عصر التسليح في الغوة الشرقية

²⁴ غوة دمشق الشرقية وتحولات المشهد من التحرير إلى الحصار

²⁵ المعارك تنتقل إلى محيط مطار دمشق الدولي... والحر يعلن تحرير الغوة الشرقية

²⁶ مجزرة جديدة في دوما ضحاها 30 ذبحاً وأعدماً بالرصاص «في منازلهم»

²⁷ تطوّر العمل العسكري للمعارضة في الغوطة الشرقية، ولم يعد يقتصر على التشكيلات العسكرية الصغيرة، بل توسّع إلى أن برزت مجموعة فصائل عسكرية فاعلة تمكّنت من السيطرة على مساحات واسعة وصلت إلى أكثر من مئة كيلومتر مربع من الغوطة الشرقية، من أبرز تلك الفصائل:²⁸

● جيش الإسلام:

تنظيم عسكري تشكّل في عام 2013 من (45) فصيلاً من الجيش السوري الحر، ويعد من أكبر الفصائل العسكرية في المعارضة السورية المسلحة. يضم ما بين (10 - 15) ألف مقاتل، وأسسّه زهران علّوش الذي أُغتيل في كانون الأول 2015 بغارة جوية، ثم استلم دفعه القيادة أبوهمام البويضاني من بعده.

انطلق جيش الإسلام في مطلع الثورة السورية بمرحلته السلمية، إذ بدأ مجموعة عسكرية مسلحة باسم (سرية الإسلام) ثم تطورت لتصبح (لواء الإسلام) إلى أن وصل لاسمه الحالي (جيش الإسلام) الذي يتكون من مجلس قيادة ومكاتب إدارية مسؤولة عن مختلف جوانب أنشطتهم.

وقد ساهم جيش الإسلام منذ تأسيسه في تشكيل عدد من التكتلات العسكرية، مثل تجمع أنصار الإسلام والجمية الإسلامية. كما يتبنى جيش الإسلام الفكر السلفي الدعوي، وهذا ما يُبرر الدعم السعودي للفصيل عسكرياً ومالياً، بيد أن إدارة جيش الإسلام تنسب مصدر مواردها من السلاح إلى الغنائم التي حصل عليها من نظام الأسد وهي تشكل ما نسبته (90%) من السلاح الذي يقاتل به الجيش حسب تصريحات قادته المتكررة، أما النسبة المتبقية (10%) تعود إلى عملية الشراء المباشر من السوق السوداء.

تركز عمليات جيش الإسلام بشكل أساسي على جهات الغوطة الشرقية من الناحية الشرقية، وخاصة على جهات حوش نصري والضواهرة، ومسرابا وأوتايا، عدا عن تمركز قواته في أحياء القابون وبرزة الدمشقيين في الشمال الشرقي من العاصمة دمشق. وقد استولى جيش الإسلام خلال فترات تمركزه على مواقع عسكرية تابعة لنظام الأسد، بالإضافة إلى عدد كبير من الدبابات والآليات العسكرية، من ضمنها منظومة دفاع جوي (OSA 9K33) استخدمها في إسقاط مروحية تابعة لقوات النظام، ما أدى إلى توقف مروحيات النظام عن إلقاء البراميل المتفجرة على الغوطة الشرقية.^{29 30 31}

²⁷ غوطة دمشق الشرقية: سيرة الثورة والحصار والحرب

²⁸ أبرز الفصائل المسلحة في الغوطة الشرقية

²⁹ أبرز الفصائل المسلحة في الغوطة الشرقية

³⁰ الجماعات المسلحة التي تقاتل في الغوطة الشرقية

³¹ جيش وفيلق ولواء.. أبرز الفصائل العسكرية في الغوطة الشرقية

● فيلق الرحمن:

كيان عسكري يتبع للجيش السوري الحر، تأسس في نهاية عام 2013م، وقد تم الإعلان عن تشكيل نواته الأولى من (لواء البراء) في آب/ أغسطس 2012. ويعتبر ثاني أكبر قوة عسكرية مسلحة بعد "جيش الإسلام" في الغوة الشرقية. تمتد جهات فيلق الرحمن في أغلب محيط مدينة دمشق الشرقي، وعلى تماس مباشر مع قلب العاصمة في كل من جوبر وزملكا وعين ترما، وأيضاً على له وجود على امتداد بلدات الغوة الشرقية في كل من عربين ومديرة وكفر بطنا وجسرين وبالا وزبدین ودير العصافير وحتيتة الجرش ومرج السلطان، بالإضافة للقلمون الشرقي والغوة الغربية. ينضوي تحت راية الفيلق حوالي (17) لواء. وتضم صفوفه أكثر من عشرة آلاف مقاتل لا تقتصر أسلحتهم المستخدمة في معاركهم على نوع واحد، بل هنالك السلاح الخفيف أو المتوسط أو الثقيل بالإضافة إلى مدافع الهاون متعددة العيارات. يتلقى فيلق الرحمن دعمه مما يسمى بمجموعة أصدقاء الشعب السوري المساندة للثورة السورية، بالإضافة إلى الدعم الشعبي، كما يحصل على السلاح بأنواعه من غنائم المعارك مع نظام الأسد، وما يتم شراؤه من السوق السوداء كما يصف موقع الإلكتروني للفيلق. ركزت أهداف فيلق الرحمن في بدايتها على محاربة "تنظيم الدولة" في الغوة الشرقية، عبر المتابعات الأمنية، والمشارك في الحملة العسكرية ضد "تنظيم الدولة" في صيف 2014م بهدف القضاء عليه تماماً في الغوة الشرقية. وبالرغم من أن "تحقيق الاستقرار الأمني ضمن الأراضي السورية" هو من الأهداف الرئيسية للفيلق إلا أنها وقّعت مع روسيا، أحد أطراف خرق الاستقرار في الغوة الشرقية، اتفاقاً في جنيف ينص على انضمام الفيلق إلى مناطق خفض التصعيد بسوريا (منها الغوة الشرقية) وذلك في تاريخ 16 أغسطس/ آب 2017م.³²

● الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام

تأسس الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في مطلع شهر كانون الأول/ ديسمبر عام 2013، ويصف الاتحاد نفسه كما جاء في إعلان البيان التأسيسي بأنه "كيان إسلامي سني شامل مستقل يعمل وفق مرجعية شرعية وضوابط فكرية ورؤية سياسية وقيادة عسكرية واحدة". وأنه كذلك على خطى توحد نحو سبعة فصائل مسلحة بمناطق مختلفة في سورية، واندماجها في كتلت واحد باسم "الجهة الإسلامية". يضم الاتحاد (5) كتائب وهي: "كتائب شباب الهدى الإسلامية" و"ألوية الحبيب المصطفى" و"تجمع أمجاد الإسلام" و"كتائب الصحابة" و"لواء درع العاصمة"، و 53 فصيلاً، ويبلغ عدد المقاتلين 15 ألفاً مقاتل من جنسيات مختلفة. لم يمنع أحد مرتكزات أجناد الشام في "مواجهة قوات نظام بشار الأسد" من إجراء مفاوضات مع النظام بغية تأمين مرور شحنات المواد البترولية، فضلاً عن أمور أخرى متعلقة بدخول المواد الغذائية، وكذلك تأمين طريق آمن للغوة الشرقية، مبررين تصرفهم حسب وصفهم بأن الهدنة مع النظام "ممكنة"، ولكن ضمن "الضوابط الشرعية"، التي تكفل عدم التفريط بأي شبر من الأرض المحررة التي لم يستطع النظام السيطرة على أي جزء منه.

³² الموقع الإلكتروني الرسمي لفيلق الرحمن

ولم تقتصر مفاوضات "أجناد الشام" مع نظام الأسد فحسب، بل تبعها إعلان انضمامها تحت راية "فيلق الرحمن" في 18 شباط/فبراير 2016م، ووفق البيان الذي أصدرته أوضحت أن الاندماج جاء "سعيًا لتوحيد صفوف الثوار، وجمع كلمتهم للسير في صف واحد في درب الثورة المرسوم بتوضيحات شعب عظيم حتى تحقيق أهدافه في الحرية والكرامة".^{33 34 35}

● هيئة تحرير الشام

تكتل عسكري من فصائل مسلحة سورية، يتكوّن من (5) فصائل مندمجة وهي جبهة فتح الشام، وحركة نور الدين زنكي، ولواء الحق، وجبهة أنصار الدين، وجيش السنة، بالإضافة إلى عدّة ألوية وكتاب وبعض الشخصيات الدعوية، ويقدر عدد المنتسبين للفصيل بـ 500 مقاتل.

تأسست الهيئة في 28 يناير/ كانون الثاني 2017، بعد انطلاق مفاوضات أستانا بين النظام السوري والمعارضة بمشاركة روسية تركية إيرانية، وأعلنت الهيئة رفضها تلك المفاوضات، واعتبرتها جزءًا من المؤامرة على الثورة السورية.

تعتبر جبهة فتح الشام من أهم مكونات التشكيل الجديد الخمس وأبرزها، وهي الوجه الآخر لجبهة النصرة التي تنتهي للفكر الجهادي السلفي، لكنها لا تتمتع بشعبية في الغوة الشرقية بل اعتبر توجهها الفكري دخيلًا على الواقع الاجتماعي في الغوة ما حدّ من تمددها. وبالرغم من ذلك لم تُعلن الهيئة تبني خط أيديولوجي واضح، بل تؤكد على أنها كيان مستقل لا يمثل امتدادًا لتنظيمات وفصائل سابقة.

خاضت هيئة تحرير الشام عدّة عمليات في الغوة منها تفجير مبنى المخابرات الجوية في حرستا، وجرى في الأشهر الأخيرة من عام 2017 مفاوضات بين الروس وقوى المعارضة السورية المسلحة لإبعاد مقاتلي هيئة تحرير الشام من في ريف دمشق إلى محافظة إدلب، مقابل ضبط وقف إطلاق النار من جانب نظام الأسد وروسيا وكذلك فتح معابر الغوة.^{36 37 38 39 40}

● حركة أحرار الشام

تأسست حركة أحرار الشام في 11 نوفمبر/تشرين الثاني 2011. ويقدر عدد مقاتليها بحوالي 25 ألف مقاتل، وتعرّف حركة أحرار الشام نفسها بحسب موقعها الإلكتروني "حركة إسلامية إصلاحية شاملة، تُقاتل في سبيل الله، وتُدوّد عن حياض الدين، وتُذبّ عن المُستضعفين، وتعمل لنصرة دين الله وإعلاء كلمته وتخليص هذا الشعب من الدكتاتورية والتسلّط المُستمر منذ عقود مضت".

اقتصر وجود حركة أحرار الشام على أجزاء من مدينة حرستا ومحيطها على أطراف الغوة الشرقية، وقد خاضت مع هيئة تحرير الشام معارك عدة ضد قوات النظام في المنطقة، لكن قوتها تتمركز في محافظة إدلب.

³³ "الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام" .. تحالف إرهابي مدعوم من تركيا

³⁴ "أجناد الشام" تتفرق بين "فيلق الرحمن" و"جيش الإسلام"

³⁵ الغوة الشرقية: صراع الهويات المركبة

³⁶ هيئة تحرير الشام.. تكتل الرافضين لأستانا

³⁷ الفصائل المتناحرة في دمشق وغوطها الشرقية

³⁸ أبرز الفصائل المسلحة في الغوة الشرقية

³⁹ هيئة تحرير الشام تشكيلها وقياداتها وسلسلة الانضمامات

⁴⁰ أعنف هجوم للفصائل في الغوة رداً على «التجاهل الروسي»

وفي 12 آذار/ مارس 2018 توصلت الحركة إلى اتفاق مع روسيا يقضي بخروج مقاتليها من مدينة حرستا والمدنيين غير الراغبين بتسوية أوضاعهم إلى الشمال السوري على أربع دفعات، حيث تشمل الدفعة الأولى إخلاء المرضى والجرحى، ويتم بعدها إجلاء العسكريين والمدنيين كدفعة ثانية.^{43 42 41}

● جيش الفسطاط:

تشكّل جيش الفسطاط في الغوة الشرقية في 25 آذار/ مارس 2014م، وضم عدّة فصائل سورية وهي: مجموعة أحرار الشام -سبق الحديث عنها في النقطة السابقة- وجمية فتح الشام التي يبلغ عدد عناصرها بين (200-300) عنصر، بالإضافة إلى الكتلة الأكبر ضمن تحالف الفسطاط (لواء فجر الأمة) وهو مجموعة شعبية متكثلة بلا أدلجة، يتألف من (6) فصائل، أحد مصادر تمويله واردات الأنفاق، وقد انتهى شكلياً للاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في حزيران 2015م كغطاء تجنّباً للاصطدام مع جيش الإسلام.⁴⁴

الخلافاً بين الفصائل

أتاحت الخلافاً بين الفصائل في الغوة الشرقية الفرصة الذهبية لنظام الأسد لاستغلال انشغالهم لإعادة السيطرة على العديد من المناطق الهامة والاستراتيجية والتقدم على الجبهات، وذلك بعد انخفاض أعمال فصائل المعارضة القتالية ضد قوات الأسد التي تُعرقل تقدّمهم.

فقد انشغلت الفصائل عن نظام الأسد في تصفية حساباتها البينية ما أدى إلى تحوّل الغوة الشرقية إلى مقاطعات، وأدى ذلك إلى حدوث معارك داخلية بغرض إعادة توزيع السيطرة، وفرض مناطق هيمنة جديدة حسب تحالفات الفصائل، ما أوقع مئات القتلى، ورسم حدوداً داخلية وخارجية جديدة للغوة.

وتعود أسباب الاقتتال إلى انحسار قدرة الفصائل طوال سنوات الثورة السورية على التوحّد ضمن قيادة واحدة، وكذلك لم يكن الحوار سيد الموقف بينها بل كان استخدام السلاح هو لغة التفاهم النافذة، كل ذلك أدى إلى إضعاف جبهات الغوة الشرقية، وتجرّؤ نظام الأسد وحلفاءه على استرداد سيطرته عليها.

وقد تسببت تلك الصراعات إلى تغيير الرأي العام سلباً تجاه الثورة، ليس ذلك فحسب بل أحدثت الخلافاً إخراجاً عند داعمي الثورة على الصعيد الإقليمي والدولي. وأيضاً رسمت مواقف الفصائل إزاء بعضها البعض صورةً غير مُرضية عنها في المستقبل، ونموذجاً للفوضى في حال قرر المجتمع الدولي التخلي عن النظام السوري وتحقيق مطالب الثورة. أما الخاسر الأكبر في حلبة المُصارعة هم المدنيون في الغوة الشرقية فهم غير راضين عن الاقتتال الحاصل بين الفصائل بل وصفوه بـ "خيانة للثورة" مؤكداً أن المطلب الرئيسي للثورة هو إسقاط النظام السوري.^{45 46}

⁴¹ الموقع الإلكتروني لجمية أحرار الشام

⁴² حركة أحرار الشام

⁴³ اتفاق بين "أحرار الشام" وروسيا لخروج المقاتلين من حرستا

⁴⁴ الخارطة العسكرية للفصائل المسلحة في سورية - الفصائل العسكرية في دمشق وريفها

⁴⁵ قراءة في اقتتال فصائل المعارضة السورية في الغوة الشرقية

⁴⁶ الخارطة العسكرية للفصائل المسلحة في سورية - الفصائل العسكرية في دمشق وريفها

المجالس المحلية

أنشأت المجالس المحلية في الغوطة الشرقية كما في باقي محافظات سوريا في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام سعياً لإدارة شؤون المنطقة وتأمين مواردها. وتُعد المجالس المحلية في الغوطة الشرقية أنموذجاً للعمل المؤسسي المنظم الذي يعمل بروح الفريق الواحد، ويتبنّى مبدأ التشاركية بهدف سد الفراغ الإداري، وتقديم الخدمات الضرورية لأهالي المدينة الذين يعانون نقصاً حاداً في كل المستلزمات الحياتية وسبل العيش الكريم.

تضم الغوطة الشرقية (43) مجلساً محلياً منها (18) مجلساً فاعلاً، وتتبع جميع هذه المجالس محافظة ريف دمشق التابعة لوزارة الإدارة المحلية في الحكومة السورية المؤقتة.

تتلخص أدوار المجالس المحلية في المهام الخدمية والتنموية والسياسية، وكذلك تتيح للسكان المحليين فرصة المشاركة في صنع السياسات المحلية من خلال ممثلهم، كما تقوم بإدارة شؤون مجتمعاتها المحلية وتوفير الخدمات لهم، إضافة إلى دورها في تطوير اقتصاديات مجتمعاتها المحلية وتحقيق التنمية لسكانها.

كما تولي المجالس المحلية أولوية تركيزها على قطاعي البنية التحتية والتعليم سعياً منها في تحقيق الاستقرار للمجتمعات المحلية، ناهيك عن حرص المجالس في تعزيز حضورها في مرحلة خفض التصعيد، ومرحلة الحل السياسي وإعادة الإعمار في المستقبل.

بدأت فكرة المجالس المحلية في الغوطة الشرقية أثناء السنة الثانية للثورة السورية عبر تكوين لجان بسيطة في بعض المناطق المحررة والتي كانت تحت سيطرة النظام حينها. وبعد تحرير مدن الغوطة الشرقية فرض واقع مؤسساتها المدمرة وتعطلّ البنى التحتية ضرورة التصدي للعمل، إلى أن طوّرت فكرة اللجان إلى تشكيل مجالس محلية من خلال مكاتب اختصاصية مثل مكتب الخدمات والبيئة وغيرها. ثم تم إنشاء إدارة المجالس المحلية في الغوطة الشرقية. كما ساهمت القوى الثورية في دعم أدوار المجالس وتشكيل الإدارات المدنية دون استبعاد دور القضاة وعلماء الدين، ثم ما لبثت أن تحولت المجالس المحلية إلى مؤسسات لها قواعدها وهيكلها التنظيمية وتخضع لآليات الانتخابات.

حاولت المجالس المحلية في الغوطة الشرقية إيجاد بعض الموارد الذاتية من خلال بيع الكهرباء عبر مولدات في مناطق أخرى، وفرض رسوم سنوية على المحال التجارية، رسوم أخرى خاصة عند استخراج الأوراق الرسمية المتعلقة بالزواج وبيع العقارات، بالإضافة إلى منح تراخيص خاصة بالمنظمات مقابل مبلغ مالي محدد.

أما بالنسبة لتدخل الفصائل العسكرية في عمل المجالس فقد اقتصر على ما تُسميه الفصائل "التجاوز الأمني" مثلما حصل عند تدخلها في محتوى مقال مجلة (طلعنا عالحرية) ووصفته بأنه "يسيء للمعتقدات الدينية".

تواجه المجالس المحلية تحديات عدّة، تتمحور في الحصار، وغلاء سعر المحروقات، وعدم توفر قطع الصيانة، وكيفية التصرف بكميات الردم الناتجة عن الدمار الذي تعرضت له الغوطة في السابق، بالإضافة إلى عدم توفر الدعم المالي الكافي للقيام بالخدمات اللازمة.

وتركز المجالس على الخدمات الطارئة وأكثرها ضرورة مثل توفير المياه وترحيل القمامة، وإنشاء مشاريع إيواء وإصلاح منازل للمهجرين، ومشاريع تدخل طارئ غذائي لدعم استقرار الأسواق، وأيضاً على مشاريع الدعم الإداري بالاتصالات للمجالس، ومشاريع تحصين للمشافي.

بالرغم من كل التحديات التي تخضع لها الغوطة الشرقية إلا أن لديها مجلس في مدينة دوما تديره امرأة حاصل على أفضل مجلس محلي في سورية عام 2016 بعد مجلس مدينة حلب.^{47 48 49}

المجالس المحلية في اتفاقيات التهدئة

رغم تغيير روسيا لدور المجالس المحلية في اتفاقيات التهدئة الأولى في نص اتفاق أنقرة المؤسس لانطلاق مسار الأستانة في 1 كانون الثاني/ يناير 2017 فإنها وعيت بدور المجالس المحلية لاحقاً عند عقد اتفاق الجنوب بين روسيا وأمريكا والأردن، وكذلك عند عقد اتفاق تخفيف التوتر في القاهرة الموقع بين ممثلين عن وزارة الدفاع الروسية والفصائل السورية المعتدلة في الغوطة الشرقية.

فقد أكد نصا الاتفاقيين تواجد المجالس المحلية في المنطقة المشمولة بالاتفاق، على أن يتم العمل وفق آليات تنفيذية في تسهيل دخول المساعدات الإنسانية وعودة اللاجئين من الأردن، مع القبول بتواجد رمزي للنظام في المؤسسات العامة، وكذلك الإدارة المشتركة في المعبر الحدودي بين النظام والمعارضة.

كما أكد اتفاق القاهرة على إدارة شؤون مدن وبلدات الغوطة الشرقية بواسطة مجالس محلية مشكلة من قبل سكانها، إضافةً إلى تشكيل مجلس العدالة الوطنية لتسوية الخلافات بشكل سلمي بين الأهالي.

فاضلت المجالس المحلية في اتفاق الهدنة بين المخاطر والاستحقاقات، وبين المكاسب والخسائر، ورأت أن فرصتها في الاتفاق تكمن في حاجة القوى الإقليمية والدولية للمجالس كإحدى آليات تنفيذ ترتيبات التهدئة، وتأتي تلك الحاجة من مضمرة الخبرة التي راكمتها خلال فترة الأحداث في سوريا بجوانب إدارة الأزمات الخدمية والإنسانية. وكذلك من ميزة المجالس في شرعيها المستمدة من تمثيلها لسكان الغوطة الشرقية المحليين، عدا عن قدرة المجالس على إدارة شؤون المدينة وتلبية احتياجاتها وفق إمكانياتها. بالإضافة إلى كل ذلك تتبني المجالس فكرة اللامركزية الإدارية الموسعة التي تمثل حالة وسطية بين ضدين مهلكين للدولة والمجتمع السوريين (المركزية، الفيدرالية غير التوافقية).⁵⁰

منطقة خفض التصعيد

في يوم 4 مايو/أيار 2017 توصلت الدول الراحية لمفاوضات أستانا 4، وهي تركيا وروسيا وإيران، إلى اتفاق "خفض التصعيد" الذي نصّ على إقامة (4) مناطق آمنة في سوريا منها الغوطة الشرقية.

ويُقصد بمناطق خفض التصعيد بأنها "مناطق أو مساحات معينة تعمل دول وأطراف ما على تخفيف وضبط الأعمال القتالية فيها، ومنح السكان فيها ظروفًا أكثر أمنًا. وهي أقل تأمينًا وحماية من المناطق الآمنة أو المناطق العازلة التي تقام عادة في مناطق تتعرض لحروب وصراعات داخلية".

وقد تأخر تطبيق اتفاق خفض التصعيد إلى أن عُقد اجتماع المعارضة السورية "جيش الإسلام" ووزارة الدفاع الروسية برعاية مصرية في القاهرة، حيث تم التوقيع في 22 تموز/ يوليو 2017 على اتفاقيات حول آلية عمل منطقة خفض التصعيد في الغوطة الشرقية، وتتضمن تحديد حدود مناطق خفض التصعيد وأيضاً مناطق الانتشار وحجم قوات مراقبة خفض التصعيد. وكما تم الاتفاق على طرق لإيصال المساعدات الإنسانية إلى السكان وتأمين حرية التحرك للمقيمين. مع تأكيد

⁴⁷ رئيس المجالس المحلية في الغوطة الشرقية لـ"اقتصاد": مليون مدني حُكم عليهم بالإعدام الجماعي

⁴⁸ قراءة تحليلية لاستطلاع واقع وتحديات الإدارة المالية للمجالس المحلية

⁴⁹ الغوطة الشرقية: مؤسسات الحكم المحلي والموارد الاقتصادية

⁵⁰ تحصين المجالس المحلية في اتفاقيات التهدئة

الجانب الروسي أن ضبط الأعمال القتالية لا يعني التوقف عن محاربة التنظيمات المُصنّفة "إرهابية" مثل "تنظيم الدولة" وجمهية "فتح الشام" حسب وصفهم.

بينما فصيل "فيلق الرحمن" لم ينضم إلى إتفاق القاهرة حينها، لكن لم يثبت على موقفه كثيراً من الوقت، فقد وقّع إتفاقاً آخر في جنيف مع وزارة الدفاع الروسية في 18 آب/ أغسطس 2017 يقضي بانضمامه إلى إتفاق إقامة مناطق خفض التصعيد.

ورغم أن بعض فصائل المعارضة المسلّحة وقعت على إتفاق خفض التصعيد من أبرزهم "جيش الإسلام" و"فيلق الرحمن"، إلا أن قوات نظام الأسد لم تبد أي التزام به، بل استهدفت مدينة دوما وبلدتي حوش الضواهرة وعين ترما بقصف جوي وصاروخي منذ ساعات الإتفاق الأولى ما أسفر عن مقتل أكثر من 270 مدنياً وإصابة المئات.^{56 55 54 53 52 51}

قرار مجلس الأمن (2401) بشأن الهدنة

بعد تصاعد القصف في الغوة الشرقية، صوت أعضاء مجلس الأمن في جلسة عقدت في 24 فبراير/شباط 2018 لصالح قرار قرار وقف إطلاق النار في سوريا لمدة 30 يوماً، وجاء القرار بعد 3 أيام من المفاوضات الشاقة وبعد أسبوع من القصف الجوي المكثف على الغوة الشرقية.

اقتُرحت كلاً من الكويت والسويد القرار الذي يحمل رقم 2401 ، وصوت 15 أعضاء مجلس الأمن عليه بالإجماع في الجلسة الذي عقدها، وأيدته روسيا التي هدّدت طوال ثلاثة أيام من المفاوضات باستخدام حق النقض (فيتو) لإحباطه، كما صوتت عليه الصين.

أكد القرار في بدايته على "الالتزام القوي بسيادة سوريا واستقلالها ووحدة أراضيها وسلامتها الإقليمية وفق مبادئ ميثاق الأمم المتحدة"، وطالب القرار الأممي جميع الأطراف بوقف "الأعمال العدائية" دون تأخير لمدة (30) يوماً على الأقل في جميع أنحاء سوريا. كما نص القرار أن الهدنة ستساعد على تقديم المساعدات للمدنيين المصابين.

وطالب القرار جميع الأطراف بتسهيل العمل الإنساني وفتح الممرات لإيصال المساعدات الإنسانية والخدمات والإجلاء الطبي للمرضى والجرحى بما في ذلك اللوازم الطبية والجراحية، وفقاً للقانون الدولي.

ولم تستثن بنود القرار المطالبة بأن تسمح جميع الأطراف للقوافل الإنسانية التابعة للأمم المتحدة وشركائها التنفيذيين بالوصول إلى جميع المناطق والسكان وفقاً لتقييم الأمم المتحدة في جميع أنحاء سوريا.

كما دعا القرار إلى رفع الحصار عن جميع المناطق، بما فيها الغوة الشرقية التي يحاصرها النظام منذ عام 2013، بالإضافة إلى مخيم اليرموك وكفريا والفوعة.

⁵¹ النص الكامل لاتفاق "وقف التصعيد" سوريا

⁵² هل يصمد خفض التصعيد بالغوة الشرقية؟

⁵³ إتفاق روسي مع المعارضة السورية لخفض التصعيد بالغوة الشرقية

⁵⁴ توقيع إتفاق خفض التصعيد في الغوة الشرقية بواسطة مصرية

⁵⁵ مناطق خفض التصعيد سوريا.. أين وكيف؟

⁵⁶ نص إتفاق خفض التصعيد بين فيلق الرحمن وروسي

لم تنعم الغوة الشرقية بتنفيذ القرار، فقد قامت قوات النظام باقتحام الغوة الشرقية من محاور عدة تحت غطاء ناري كثيف شاركت فيه طائرات روسية بعد ساعات من قرار مجلس الأمن تطبيق هدنة إنسانية في سوريا.^{57 58 59}

حصار الغوة ومنهجية التجويع

بدأت سلسلة الحصار لمناطق الغوة الشرقية في شهر مايو/أيار 2013 أي بعد عامين من انطلاق الثورة السورية، ووصف الحصار بأنه واحد من أطول عمليات الحصار الحديثة في التاريخ، وأيضاً أطول حصار في سوريا منذ بدء الثورة. وكانت الغوة، من أوائل المناطق التي ثارت على ظلم نظام الأسد وسياسته، وقد أُطبق الحصار على 400 ألف شخص رفضوا الخروج من أراضيهم وبيوتهم، على الرغم من إجراءات الحصار التي أوصلتهم إلى حافة الجوع. انتهج نظام الأسد سياسة التجويع أثناء الحصار خلال شهري تموز/يوليو و آب/أغسطس في عام 2013، وقصف محاصيل ومزارع الغوة الشرقية وحرقها، بالإضافة إلى سد طرق وصول الأغذية والوقود والأدوية بصورة ممنهجة عند نقاط التفتيش وكذلك مصادرتها وفق ما ورد في تقرير صادر عن الأمم المتحدة في عام 2014. بيد أن الحصار سُي في بدايته بـ "الحصار الجزئي" بسبب تمكّن المعارضة من إدخال بعض المواد الغذائية وفق اتفاقية مبرمة بين النظام السوري وفصائل المعارضة عن طريق الأنفاق في حي القابون الذي يفصل الغوة الشرقية عن حي برزة في دمشق، وفي بعض الأحيان تم تمرير المواد الغذائية عبر معبر مخيم الوافدين. مع ذلك لم تسلم المواد الغذائية من ارتفاع أسعارها من المصدر -أي نظام الأسد- عدا عن تذبذب قراره في السماح بمرور المواد الغذائية أو رفضه. في 18 شباط/فبراير 2017 تغير ملامح الحصار، فقد بدأ نظام الأسد حملة عسكرية للسيطرة على حي جوبر وتمكّن من فصل حي برزة -مصدر المواد الغذائية- عن الغوة الشرقية، ما أدى إلى إطباق الحصار على الغوة الشرقية بشكل كامل، بالتزامن مع منع إدخال المواد الغذائية إليها، ثم تطورت الأحداث -بعد فشل النظام في السيطرة الكاملة على الغوة الشرقية- إلى اقتحام حي برزة ما أدى إلى تجفيف منابع المواد الغذائية بشكل كلي. وصعد نظام الأسد أعماله العسكرية في 15 تشرين الثاني/نوفمبر 2017 في محاولة لاقتحام الطرف الغربي من الغوة الشرقية. ومن أشكال تصعيد نظام الأسد للحصار أنه قام بإغلاق طريق مخيم الوافدين بتاريخ 25 آب/أغسطس 2017م، ولم تدخل من حينها أية مواد غذائية وهذا ما سبّب ارتفاع أسعار المواد الغذائية إلى (4) أضعاف عن سعرها السابق. ولا تقتصر صعوبة الوضع الإنساني على شح المواد الغذائية فحسب، بل تعدى ذلك إلى حاجة سكان الغوة الشرقية إلى مواد أخرى غير غذائية مثل المنظفات ومواد النظافة الشخصية، وكذلك حاجة المدنيين إلى البطانيات والفرشات مع اشتداد البرد بسبب عدم توفر الكهرباء ومواد التدفئة الأخرى، فالوقود ينذر إدخاله إلى داخل المدينة إلا بكميات قليلة وأثمان باهظة.

⁵⁷ النص الكامل لقرار مجلس الأمن "2401" حول هدنة سوريا

⁵⁸ ماذا يقول القرار 2401 بشأن سوريا؟

⁵⁹ قرار مجلس الأمن رقم 2401 بشأن الهدنة في سوريا (وثيقة)

سياسة التهجير

بالتزامن مع سياسة الحصار والتجوع، التفت نظام الأسد إلى سياسة جديدة ألا وهي تهجير أهالي الغوة والعبث بالتغيير الديموغرافي في المنطقة بعدما أنهكها القصف والتدمير، فقد قام بتهجير الغوة الغربية في 26 آب/ أغسطس 2016 وذلك بعد حصار دام أكثر من 4 سنوات، واتبع المنهجية ذاتها بعد حصاره لمدينة داريا فقد أرهبها في عمليات القصف الجوي والاجتياح البري ما أجبر سكانها على الخروج منها في كانون الثاني/ يناير 2017، تبع ذلك هجرة سكان مدينة عين الفيحة بسبب قيام قوات نظام الأسد بقصف عين الفيحة ما أدى إلى انقطاع المياه عن قرابة (6) ملايين شخص في دمشق وريفها لمدة شهر تقريباً. وفي 15 نيسان/ أبريل من العام نفسه تم تهجير سكان مدينة الزبداني ومضايها ضمن اتفاقية "المدن الأربعة" التي أبرمتها هيئة تحرير الشام مع نظام الأسد وإيران برعاية قطرية.^{64 63 62 61 60}

مجزرة الكيماوي

لم يكن قد مضى زمناً طويلاً على حصار الغوة الشرقية وما لحق بذلك من تجفيف منابع الغذاء والدواء، حتى قام نظام الأسد بشراسة بإزهاق أرواح المدنيين. فقد شهدت الغوة الشرقية في تاريخ 21 آب/ أغسطس 2013 حدوث ما سُمي لاحقاً بمجزرة الكيماوي في مناطق زملكا، وعين ترما، والمعضمية. استخدم نظام الأسد (16) صاروخاً من نوع أرض أرض مُحملة بغاز السارين المُحرم دولياً.

اختلفت الروايات عن عدد الضحايا مجزرة الكيماوي، بين عدد (1400) ضحية الذي أعلنته المعارضة، والعدد (355) ضحية الذي أعلنته منظمة أطباء بلا حدود، بينما أكد رئيس الشبكة السورية فضل عبد الغني أن عدد الضحايا بلغ (1127) منهم (201) من السيدات و (107) من الأطفال.

ولم تسلم الطواقم الطبية من عداد أعداد الضحايا في المجزرة، فقد استهدف صاروخ كل الموجودين في النقطة الطبية في بلدة زملكا البلد، فاستشهد الطاقم الطبي كاملاً بالإضافة إلى 400 شخص.

دولياً، لم ترض الدول الغربية عن الإبادة الجماعية التي جرت في الغوة باستخدام الأسلحة الكيماوية وانتقدته بحدة، كما هددته بعضها بالتدخل العسكري، وكان أبرزها تهديد الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، قبل أن ينتهي الأمر باتفاق بين الولايات المتحدة وروسيا، يقضي بوضع الأسلحة الكيماوية للنظام السوري تحت رقابة دولية، ثم تدميرها كحل يمنع التدخل ضد النظام.

لم يجد بعض المراقبين حينها أن القرار سيمنع نظام الأسد من ارتكاب مجازر أخرى بل اعتبرها إشارة خضراء لمزيد من الانتهاكات التي لم تكلفه سوى بعض التنازلات "الضئيلة".

جدير بالذكر أن مجلس الأمن أصدر القرار ذا الرقم (2118) في تاريخ 27 أيلول/ سبتمبر 2013 والذي يمنع استخدام الأسلحة الكيماوية في سورية من قبل نظام الأسد.^{68 67 66 65}

⁶⁰ الأوضاع الإنسانية في الغوة الشرقية – آذار 2017

⁶¹ حصار الغوة الشرقية

⁶² الحصار والموت في الغوة الشرقية كانون الأول 2017

⁶³ بعد صمتهم عن تهجير أهلها، الأمم المتحدة تهم الأسد بقصف نبع عين الفيحة

⁶⁴ "تحرير الشام" تخرج عن صمتها حول اتفاق خروج سكان الزبداني ومضايها

⁶⁵ استخدام السلاح الكيماوي في محافظة ريف دمشق - الغوة الشرقية

التصعيد الأخير

في 5 فبراير/ شباط 2018 شهدت الغوة الشرقية تصعيداً عسكرياً من نظام الأسد المدعوم من روسيا خلف مئات القتلى والجرحى خلال أيام فقط، ثم عززت قوات نظام الأسد مواقعها في المنطقة وأطلقت أكثر من (260) صاروخاً كما شنت القوات غارات كثيفة على عدد من بلدات الغوة الشرقية ما أسفر عن مقتل (127) مدنياً في اليوم التالي. كما أعلنت الأمم المتحدة أن (6) مستشفيات في الغوة الشرقية تعرضت للقصف في 48 ساعة في 20 فبراير/ شباط من الشهر نفسه. الأمر الذي جعل مجلس الأمن الدولي يصدر قراراً بالإجماع في يوم 24 فبراير/ شباط يطالب فيه بوقف إطلاق النار الفوري في سوريا لمدة (30) يوماً، لكن نظام الأسد لم يلتزم بالقرار. بل عمد إلى عزل مدينة دوما عن بقية الغوة الشرقية، ما أدى إلى تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أجزاء: دوما ومحيطها شمالاً تحت سيطرة "جيش الإسلام"، حرستا غرباً حيث "حركة تحرير الشام"، وبقية المدن والبلدات جنوباً وسيطر عليها فصيل "فيلق الرحمن" مع تواجد محدود لهيئة "فتح الشام".

توصلت حركة "أحرار الشام" إلى اتفاق مع روسيا يقضي بتهجير أكثر من (4000) شخص بينهم أكثر من (1400) مقاتل من الحركة وذلك يومي 22 و23 من مارس/ آذار 2018م، تبعه في اليوم التالي عقد إتفاقٍ مماثل بين فصيل "فيلق الرحمن" وروسيا حيث تم بموجبه خروج أول دفعة من المدنيين والمقاتلين من مناطق سيطرة الفصيل من بلدات عربين وزملكا وعين ترما وحى جوبر في جنوب الغوة الشرقية متجهة إلى إدلب في الشمال السوري.⁶⁹

عدد الضحايا في الغوة الشرقية

(13634) مدني حصيلة الضحايا في الغوة الشرقية منذ بدء الثورة السورية حتى (24 آذار/ مارس 2018) بينهم (1642) طفل و (1250) سيدة بالغة. فقد وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان عدد الضحايا (12763) مدني في الغوة الشرقية من (11 آذار/ مارس 2011) إلى (24 شباط/ فبراير 2018) بينهم 1463 طفلاً و 1127 سيدة بالغة. كما وثق تقرير آخر للشبكة نفسها عدد الضحايا (871) مدني في الفترة من (24 شباط/ فبراير 2018) إلى (24 آذار/ مارس 2018) بينهم (179) طفل و (123) سيدة بالغة، علماً أن الإحصائية الأخيرة جاءت بعد قرار مجلس الأمن 2401 لوقف الأعمال القتالية.^{70 71}

⁶⁶ الغوة الشرقية، سرديّة الحصار المستمر

⁶⁷ غوة دمشق الشرقية: سرية الثورة والحصار والحرب

⁶⁸ الغازات السامة المحتمة دولياً سلاح مواجبة ضد النظام السوري

⁶⁹ الغوة الشرقية.. محطات من المأسى والتجهر

⁷⁰ تقرير: المذبحة المستمرة

⁷¹ تقرير: تشيد قسري لعشرات الآلاف واستخدام لأسلحة كيميائية وحارقة

هل الغوطة مثل حلب؟

بعد تطويق الخناق على الغوطة الشرقية، قارب المراقبون والمحللون بين أحداث حصار الغوطة وحصار حلب الذي حدث في آب 2016م، كما طُرحت تساؤلات عن ماهية المآلات وما هي أوجه التشابه وكذلك الاختلافات في ظروف كل منهما. وفق طبيعة الأرض والقوى العسكرية. والتفاهات الدولية وقراراتها.

فمن ناحية الفصائل المعارضة المسلحة، في حلب كانت القوة الفعلية هي جبهة "فتح الشام" (النصرة) ومقاتليها من خارج بيئة المدينة، بينما وقود القوة الفعلية لفصائل المعارضة في الغوطة هو من أبناءها، الذين يقفون في خندق واحد رغم اختلافاتهم، ويعرفون إلى حد كبير بتفاصيل جغرافية القرى والبلدات وتشابكها، وكيفية ترابطها بالأنفاق والمنافذ ما يتيح لهم في الاختباء والتنقل عدا عن توفر الغذاء نسبياً باعتبار الغوطة منطقة مُنتجة للمحاصيل، كما تختلف الغوطة عن حلب في توفر قدرات عسكرية أكثر بكثير من تلك التي كانت في حوزة الفصائل في حلب، ما مكّنها (الغوطة) من الحفاظ على سيطرة الجبهات البرية.

سعى النظام بكل ما أوتي من قوة إلى استعادة السيطرة على الغوطة لتأمين عاصمته ونقاطه العسكرية، ولإنهاء أحد أهم وأصلب معاقل وجيوب المعارضة السورية المسلحة وأكثرها استقلالية.

كما أن النظام استفاد من تجربته في حلب وطَبّق استراتيجيتين على مرحلتين في الغوطة: تكمن أولاهما في تحقيق السيطرة في عمق الغوطة وتقسيمها إلى قسمين مع توسيع السيطرة على بعض المناطق في الأطراف، وأيضاً تبادي الدخول إلى قلب الأحياء السكنية حيث ستكون القوة لصالح المعارضة، ومن ثم وقف المَعارك وتشديد الحصار الخانق، بعد تحقيق الفصل الجغرافي والعسكري بين الفصائل، لتسهيل عملية التركيز على الأطراف منفردة، إما عسكرياً أو عبر تسوية سياسية. أما المرحلة الثانية تتمثل في العمل على خلق فجوة بين الفصائل والمدنيين عبر تكثيف الضربات الجوية وضرب المراكز الطبية، في حين تجتهد روسيا في مساعدتها إلى شرعنة قرار تهجير المدنيين تحت عنوان إنساني.^{72 73}

⁷² لماذا لن تكون الغوطة حلب أخرى؟

⁷³ معركة الغوطة.. لماذا لن تتكرر تجربة حلب؟